عيد صالح مبروك (٢)

ما أن جاءت ثورة يوليو حتى اضرب عمال شركة صباغى البيضا بكفر الدوار..وحضر محمود باشا شكرى ، وبدأ مفاوضات مضنية معهم، لكن أهم ما تمسك إنه قال للعمال وبعنف: الألقاب ألغيت فى القاهرة لكنها لم تلغ هنا ولهذا كان من الضرورى أن تقدم طلباتكم باسم حضرة صاحب العزة المدير»
(عيد صالح مبروك فى تسجيل على شرائط كاسيت)

ونعود إلى عيد صالح مبروك ليروى شهادته الأخطر عن اضراب كفر الدوار واعدام خميس والبقرى.. فقد كان شاهد عيان حضر الأحداث من بدايتها إلى نهايتها. ونبدأ الشهادة:

«نجح اضراب عمال صباغى البيضا وحققوا قسما كبيرا من مطالبهم (نقابة مستقلة- زيادة الأجور- مكافأة سنوية - علاوة سنوية - اجازة سنوية). وتساءل جيرانهم فى شركة الغزل الرفيع بكفر الدوار.. وماذا عنا نحن؟ وبدأت القيادات السرية الموجودة منذ زمن فى التحرك بشكل شبه علنى وعقدت عدة اجتماعات على المقاهى، وأيضا فى النادى الرياضى وتشكلت قيادة للعمال من محمد متولى الشعراوى- أحمد اليابانى- حلمى الجوهرى- محمود عطا الله وأنا. وأتفقنا على الاضراب ورتبنا الأمر بحيث تبقى وردية مكانها وتدخل إلى المصنع الوردية التالية فيكون داخل المصنع ورديتان. لكن بعض جواسيس الإدارة نقلوا المعلومات للإدارة فاستعدت بأن نقلت أوراقها المهمة بعيدا عن الشركة، ودبرت كمينا للعمال فما أن بدأ المضربون فى إعلان إضرابهم حتى قام بعض الخفراء من عملاء الإدارة بإشعال حرائق فى مكاتب من الشركة. لكن العمال تجمعوا لحماية العنابر وحاولوا إطفاء الحريق المشتعل فى المكاتب، لكن رجال أمن الشركة اطلقوا عليهم النار، ولم تتحرك سيارات مطافئ الشركة وازدادت النار اشتعالا وبسرعة تشكلت لجان عمالية لحماية الآلات. وبالفعل ظلت الآلات وعنابر الإنتاج سليمة، وفى الصباح أتى الجيش، وحاصرت

المدرعات المصنع وسدت البوابات ورسموا بالجير خطوطا على الأرض وحذروا أن من يتخطى هذه الخطوط سيطلق عليه الرصاص. ثم اطلقت شائعة أن محمد نجيب سيحضر ليستمع إلى العمال، فتحركت مظاهرة من العمال المحاصرين داخل المصنع كى يستقبلوا محمد نجيب ويعرضوا عليهم مطالبهم. وتناوب على الهتاف مصطفى خميس وأنا. كانت هتافاتنا عادية، نرحب بنجيب ونطالب الثورة بحماية العمال. وصلت المظاهرة قرب الخط الأبيض، فتردد المتظاهرون، كان الدور على مصطفى خميس كى يقود الهتاف الذى أعطى ظهره للجنود وبدأ يدعو العمال لتجاوز الخط الأبيض، ومع أول خطوة منه تجتاز الخط الأبيض اختطفه الجنود وبدأوا فى ضربه ضربا مبرحا وقبض عليه ، وبدأ إطلاق الرصاص على العمال فى المليان، فزع العمال من المفاجأة وتفرقوا فى شوارع المصنع لكن السيارات المدرعة وسيارات الجيب أخذت تطاردهم لتقتل العديد منهم. واستطيع أن أقرر أن أكثر من خمسمائة عامل قد قتلوا فى هذه المذبحة، وصدرت الأوامر بعد ذلك باعدام وثائق مستشفى كفر الدوار العام حتى لا يستطيع أحد التعرف على عدد القتلى أو اسمائهم. وفى الدعايات الصحفية بررت قيادة الثورة اطلاق الرصاص الحى بكثافة على العمال بأن رصاصا اطلق من المتظاهرين وقتل جنديين لكننى أؤكد أن التحقيق اثبت أن الرصاص الذى قتل الجنديين أتى من خارج المصنع ومن مساكن الخفراء من عملاء الشركة.

والمهم أن قرارا صدر – بحظر التجول ثلاثة أيام ومنع الدخول من أبواب الشركة. كان العمال قد قفز أغلبهم عبر السور هاربين من الرصاص، ولكن بقى عدة مئات من العمال الأكثر وعيا كانوا يحمون آلات المصنع فجمعوهم وأمروهم أن ينطبحوا أرضا على بطونهم لمدة ٤٨ ساعة وأعلن الضابط للجنود كل من يرفع رأسه اطلقوا عليه الرصاص.

ويمضى عيد فى تسجيلاته «كانت المحاكمة مهرجانا لارهاب عمال مصر جميعا جمعوا آلافا من عمال الإسكندرية وكفر الدوار رغم أنوفهم ليحضروا المحاكمة ثم أمروهم وهم جلوس على الأرض على الاستماع إلى الحكم الذى تلاه ضابط من فوق ظهر دبابة فى دلالة لا تخفى على أحد والحكم: خميس والبقرى اعدام وثمانية وعشرون عاملا بالسجن. ويحكى عيد اثر الاعدام على العمال وكيف أنهم كانوا يتهامسون بأن اقطاعيا هاجم قسم شرطة فى الصعيد واطلق الرصاص وقتل سيدة وحوكم فى الوقت ذاته بالسجن ثم ما لبث ان افرج

عنه. والمثير للدهشة أن العمال لم يتراجعوا رغم هذه الوحشية فقدموا مذكرة بطلباتهم فحصلوا على مكافأة شهرين كل سنة وعلى زيادة العلاوة السنوية وعلى حقهم فى اقامة نقابة مستقلة. ومنذ الانتخابات الأولى للنقابة سيطرنا على مجلس الإدارة ونظمنا بعدها ٤٤ اضرابا وزادت الأجور بنسبة ١٥٠٪. وفى أحد الاضرابات حضر حسين الشافعى وطلب رئيس النقابة وكان محمود عطا الله (عضو حدتو) وسأله الشافعى انتم كام عامل؟ فرد ١٢٫٠٠٠ عامل فقال الشافعى سأجعل منكم ١٢٫٠٠٠ خميس والبقرى ورد عطا الله بعفوية «ماشى» وتركه ومضى. وفى ١٩٥٤ وكانت أزمة الحكم تلتهب استدعى الطحاوى وطعيمة القائد العمالى متولى الشعراوى وطلبا منه تنظيم اضراب لمساندة عبد الناصر فقال لهما سأعرض الأمر على مجلس النقابة واتخذ مجلس النقابة قرارا غريبا هو إبلاغ النيابة ضد طعيمة والطحاوى لأنهما يحرضان على الإضراب، والإضراب ممنوع قانونا.

كل هذا وعيد لم يقدم حكايته كيف أصبح شيوعيا. «كنت أجلس كثيرا أمام محل عبد الفتاح أبو عيسى (اشهر صانع احذية فى الاسكندرية) والحلوانى المجاور لا يكف عن الحديث عن الشيوعية هو وصديق له يونانى. ويبدو أن أحدهما كان على علاقة ما بحدتو فإذا بأحد أعضاء حدتو يتصل بعيد وعبد الفتاح ويضمهما إلى حدتو وكرس عيد جهده فى بناء منظمة حزبية فى المصنع فضم عديدا من العمال ومنهم اثنان اصبحا قادة النقابة محمد عطا الله وأحمد اليابانى. واسهم عيد فى تأسيس إتحاد عمال الغزل والنسيج وأصبح اليابانى وكيلا للاتحاد. وإذ يأتى العدوان الثلاثى يرفع عمال كفر الدوار شعار«نصف العمال للمعركة والنصف للإنتاج» وسافر عديد من العمال إلى الجبهة وزاد الإنتاج بنسبة ١٠٠٪ وفى يناير ١٩٥٩ يقبض عليه وفورا يصدر قرار بفصله من العمل بحجة انه شيوعى. ويعانى عيد من التعذيب الوحشى ويروى فى التسجيلات قصصا تشبه الخرافات عن وحشية التعذيب. أحد الجنود يظل يضربه بعنف ثم صاح «الله يخرب بيتك حاموت من كتر ضربى فيك». والمجلس العسكرى العالى يحكم عليه بثمانى سنوات اشغال شاقة. ويفرج عنه ليواجه بعدها بقليل بقرار حل الحزب الذى افنى حياته فى بنائه. لكنه تلاقى مع عدد من الرفاق القدامى فى محاولة لإعادة تأسيس الحزب، ثم يكتشف أن رفاقا اعادوا التأسيس فانضم إليهم وواصل نضاله معهم حتى اصبح عضوا فى المكتب السياسى. ويبقى مناضلا بثبات هادئ ومتواضع ومتفان حتى يرحل.